المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 17 -- العدد 02 -- ديسمبر 2025 ص 194 - 212

الخوارزمي ومنهج تصنيف المعرفة في كتابه "مفاتيح العلوم"

Al-Khwarizmi and the method of Classifying knowledge in his book Mafatiḥ al-ulum

صدوقي نسيمة - أستاذة محاضرة أ Sadouki.nacima@gmail.com	علم المكتبات والتوثيق	كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران1 / الجزائر

DOI :

الإرسال: 2025/09/30 **القبول**: 2025/11/02 **النشر**: 2025/12/20

ملخص:

عد أبو عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي (ت. نحو 387هـ/997م) من أبرز أعلام القرن الرابع الهجري، وأول من حاول تقديم تصنيف شامل للعلوم باللغة العربية في كتابه مفاتيح العلوم .ويندرج عمله في سياق النهضة الفكرية والعلمية التي عرفها العصر العباسي، حيث ساهمت حركة الترجمة وتنوع المدارس الفكرية في تشكيل رؤيته.

يرتكز منهج الخوارزمي على تقسيم ثنائي للمعرفة بين «علوم العرب» كالفقه والنحو والحديث، و«علوم العجم» كالطب والفلك والمنطق، مع عناية خاصة بضبط المصطلحات وشرحها بلغة مبسطة، مما يجعل كتابه أقرب إلى دليل تعليمي موجَّه للطلبة. كما منح العلوم بعدًا وظيفيًا مرتبطًا بمقاصدها العملية والشرعية.

يعرض هذا المقال محتوى الكتاب من خلال تحليل بنية التصنيف عند الخوارزمي، وإبراز أثر بيئته الثقافية في صياغة منهجه، ثم تتبع أثره في التصنيفات الموسوعية والمعاجم الاصطلاحية الإسلامية، وصولًا إلى أثره غير المباشر في الفكر الأوروبي. كما نقارن بين منهجه وبين تصنيفات كل من الفارابي وإخوان الصفا وطاش كبرى زاده، لإبراز خصوصية أسلوبه ودوره في نشأة المعجمية العلمية العربية.

يمثل مفاتيح العلوم حلقة مفصلية في تاريخ الفكر الموسوعي الإسلامي، ونموذجًا مبكرًا للجمع بين الوظيفة التعليمية والبناء المنهجي للمعرفة.

الكلمات المفتاحية: تصنيف المعرفة ؛ الخوارزمي؛ مفاتيح العلوم؛ الثقافة العباسية؛ المعاجم الاصطلاحية.

Abstract :

Abu ʿAbd Allah Muḥammad ibn Aḥmad al-Khwarizmi (d. ca. 387 AH/997 CE) is recognized as one of the foremost intellectuals of the 4th century AH and the earliest scholar to present a systematic classification of sciences in Arabic through his work Mafatiḥ al-ʿUlum (Keys of the Sciences). His endeavor reflects the intellectual and scientific dynamism of the Abbasid era, shaped by the translation movement and the plurality of scholarly traditions.

المؤلف المراسل: صدوقي نسيمة البريد الإلكتروني: Sadouki.nacima@gmail.com

Al-Khwarizmi's method rests on a dual division of knowledge: the "sciences of the Arabs," such as jurisprudence, grammar, and ḥadith, and the "sciences of non-Arabs," including medicine, astronomy, and logic. He placed particular emphasis on clarifying terminology in accessible language, making his book function as a practical guide for students. Moreover, he highlighted the functional dimension of knowledge by linking disciplines to their practical and legal purposes.

This study examines the structure of his classification, the cultural environment that informed his method, and its subsequent influence on encyclopedic works and Islamic terminological dictionaries, with indirect repercussions in European thought. A comparative analysis with al-Farabi, the Brethren of Purity, and Ṭashkubizada highlights his distinctive contribution. Mafatiḥ al-ʿUlum thus represents a pivotal stage in Islamic encyclopedic thought and an early attempt to unite pedagogical aims with systematic knowledge.
Keywords : Knowledge Classification ; Al-Khwarizmi ; Mafatiḥ al-Ulum ; Abbasid culture ; Terminological lexicons

مقدمة:

في سياق القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، شهدت الحضارة العباسية أوج نشاطها الفكري والعلمي، حيث تداخلت جهود الترجمة مع حركة التأليف، وتوسّعت دوائر المعرفة لتشمل مجالات متنوعة من الفلسفة والعلوم الطبيعية إلى الأدب واللغة. وفي خضم هذا المناخ الثقافي، برز أبو عبد الله محمّد بن أحمد الخوارزمي (ت 387هـ/997م) بعمله الفريد «مفاتيح العلوم»، الذي يُعَدّ من أوائل المصنفات العربية في تنظيم المعارف وتبويبها.

أهمية هذا الكتاب لا تكمن فقط في جمعه لمصطلحات العلوم وتعريفاتها، بل في منهجيته التي قامت على تقسيم ثنائي: «علوم العرب» المرتبطة باللسان والشريعة والأدب، و«علوم العجم» المرتبطة بالحساب والهندسة والطب وسائر العلوم العقلية. هذا التصنيف أتاح للباحثين والمهتمين إطارًا عمليًا لفهم طبيعة العلوم ومصطلحاتها، وجعل الكتاب أقرب إلى معجم موسوعي يوازن بين اللغة والمعرفة.

ومن خلال هذا المقال، نسعى إلى تحليل منهج الخوارزمي في التصنيف، والكشف عن أثر بيئته الثقافية العباسية في تشكيل رؤيته، ثم مقارنته بإسهامات معاصرين أو لاحقين له مثل الفارابي (ت 339هـ/950م) . والغاية هي إبراز مكانة «مفاتيح العلوم» كحلقة مفصلية في تاريخ التصنيف العلمي والمعرفي في التراث الإسلامي.

إذ تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي النقدي، من خلال قراءة داخلية دقيقة لكتاب مفاتيح العلوم، واستخلاص ملامح التصنيف العلمي فيه، مع المقارنة التاريخية بينه وبين تصنيفات أخرى لدى مفكرين مثل الفارابي، وإخوان الصفا، مع الاستعانة بالمصادر البيبليوغرافية الأصلية والدراسات الحديثة لتأطير النتائج في سياقها العلمي والتاريخي.

الدراسات السابقة:

رغم تعدد الإسهامات العلمية التي تناولت الخوارزمي وكتابه مفاتيح العلوم، إلا أن أغلبها ركّز على المحتوى المعجمي أو الدلالي للمصطلحات دون التطرق لبنية التصنيف الكلي. ومن ذلك ما ورد في دراسة **عواريب سليم (2020)** بعنوان "قراءة في المصطلح اللغوي عند الخوارزمي من خلال كتابه مفاتيح العلوم: تأسيس نظري للمصطلحية العربية " بمجلة الآداب واللغات ، والتي استعرضت طبيعة المصطلحات اللغوية (الصوتية، الصرفية، النحوية، البلاغية...) في مفاتيح العلوم، والتي حاولت تأسيس منهج مصطلحي عربي متكامل .فما يميّز بحثنا إذا هو تجاوز حصر المصطلحات إلى تحليل المنهج التصنيفي الذي اتبعه الخوارزمي وربطه بالسياق الفكري والمعرفي لتلك الحقبة.

وبالتالي يعالج هذا البحث إشكالية أساسية تتمثل في:

- ماهو المنهج الذي إعتمده الخوارزمي في تصنيف العلوم بكتابه مفاتيح العلوم، وكيف تتجلى معالم هذا المنهج ضمن السياق الفكري والعلمي للحضارة الإسلامية؟

ويتفرع عن هذا السؤال إشكالات فرعية تتعلق بطبيعة التصنيف، وحدود التداخل بين العلوم، وموقع هذا العمل في المسار العام لتطور التصنيفات العلمية في الفكر الإسلامي.

1-لمحة تاريخية وعلمية عن الخوارزمي:

الخوارزمي صاحب كتاب مفاتيح العلوم هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي (ت387هـ/997م)، مؤرخ وفيلسوف ومسؤول في شؤون الدولة العباسية، عاش في القرن الرابع الهجري (حوالي القرن العاشر الميلادي)، ونشأ في منطقة خوارزم الواقعة في وسط آسيا. اشتُهر بعلمه الواسع في مجالات متعددة، لا سيما تصنيف العلوم، وكذلك في الفلك

والجغرافيا، حيث ساهم في نقل المعارف اليونانية والهندية إلى الثقافة الإسلامية. (يوسف، 1985)

يُعتبر كتابه مفاتيح العلوم من أوائل المحاولات العربية لتصنيف العلوم والمعارف بشكل شامل ومنظم، إذ جمع فيه المعارف العلمية والفلسفية واللغوية بطريقة منهجية، وقسّم العلوم إلى فئات واضحة مع شرح موجز لكل منها، مما جعله مرجعًا هامًا في الفكر العلمي الإسلامي. (زيدان ج.، 1911)

كما يركز الكتاب على توضيح المصطلحات العلمية وتصنيف العلوم، من علوم العقل والشرع، واللغة، والفلسفة، والفنون التطبيقية، وهو يعكس تصورًا معرفيًا متكاملًا للعصر العباسي، حيث سعى المؤلف إلى تنظيم المعرفة وفق أُسس علمية واضحة تساعد القارئ على فهم تصنيف العلوم وانتقالها. (الخوارزمي أ.، 2008)

يُعتبر مفاتيح العلوم نقطة مفصلية في تطور الفكر التصنيفي في التراث العربي، حيث استفاد منه العديد من العلماء والمفكرين الذين جاؤوا بعده، وفتح الطريق أمام تصنيفات أوسع وأشمل.

2- نظرة عامة على كتاب مفاتيح العلوم:

يُعد كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت387هـ/997م) من أبرز الأعمال التي حاولت في عصره تقديم تصنيف شامل للمعارف العلمية والدينية، وقد صاغه الخوارزمي بهدف وضع خارطة معرفية متكاملة توضح العلوم المختلفة وتبويبها بطريقة منهجية .يتسم الكتاب بهيكل ثنائي رئيسي يقسم العلوم إلى مجموعتين :علوم العرب وعلوم العجم، وهو تقسيم يعكس التمييز الثقافي والعلمي السائد في ذلك العصر (الخوارزمي أ.، 2008)

وإطلاقا من هذا التصور، يتناول الجزء الأول، الذي يُطلق عليه علوم العرب، مجموعة من العلوم المرتبطة باللغة والدين، مثل علوم النحو، الفقه، الحديث، والتفسير، إذ كانت هذه العلوم تحظى بمكانة مركزية في المجتمع الإسلامي باعتبارها أساسية لفهم الدين واللغة العربية. وفي المقابل، يخصص الخوارزمي الجزء الثاني لعلوم العجم، حيث يشمل

العلوم العقلية والطبيعية مثل الطب، الفلك، الرياضيات، الفلسفة، والمنطق، وهي علوم جاءت إلى الحضارة الإسلامية متأثرة بالتراث اليوناني والفارسي (زيدان ج.، 1911).

ومن خلال هذا التقسيم المزدوج، يهدف الخوارزمي إلى توضيح الحدود المعرفية بين العلوم المختلفة، مع إبراز العلاقة بينها داخل منظومة معرفية متكاملة. ويُلاحظ في تصنيفه تدرج واضح من العلوم التي تعتمد على النقل واللغة إلى تلك التي تقوم على العقل والتجربة، مما يعكس فهمه العميق لطبيعة المعرفة وطرق اكتسابها. (الخوارزمي أ.، 2008)

وبذلك، يُمكن إعتبار هذا الكتاب محاولة مبكرة لتقنين العلوم بشكل منهجي، إذ سعى إلى مساعدة العلماء والطلاب في التنقل بين الفروع المختلفة للمعرفة والتعرف على علاقاتها المتبادلة، وهو ما جعله منه مرجعًا هامًا في الفكر الموسوعي الإسلامي، ومصدرا أساسيا لفهم تطور مسارات التصنيف في التراث العربي الإسلامي . (يوسف، 1985)

3- أثر البيئة الثقافية والعلمية العباسية في تشكيل تصنيف الخوارزمي :

لا يمكن فهم مشروع الخوارزمي في كتاب مفاتيح العلوم خارج الإطار الحضاري والعلمي الذي نشأ فيه، أي العصر العباسي، وخصوصًا القرن الرابع الهجري (التاسع الميلادي تقريبًا)، حيث شهدت بغداد نهضة معرفية واسعة انعكست على حركة العلوم والثقافة. تميز هذا العصر بحراك علمي غير مسبوق، ساهمت فيه الدولة العباسية من خلال تشجيع العلماء، تمويل الترجمة، وإنشاء المؤسسات التعليمية، وعلى رأسها بيت الحكمة، الذي يُعدّ رمزًا هامًا للعقلانية والتبادل المعرفي في التاريخ الإسلامي. (الطبري، 1988)

لقد وفرت البيئة العباسية ثلاثة عناصر أساسية ساعدت على بلورة فكر الخوارزمي التصنيفي:

أولا : حركة الترجمة العلمية

شهدت تلك الفترة ترجمة واسعة للكتب اليونانية والفارسية والسريانية، خصوصًا في الفلسفة، الرياضيات، الفلك، والطب. وقد أدى هذا الاحتكاك بين نظم ومصطلحات فكرية مختلفة إلى الحاجة لتنظيم المعارف وتقريبها للناطقين بالعربية، وهو ما انعكس

مباشرة في مشروع الخوارزمي لتصنيف العلوم ضمن منظومة لغوية ومعرفية مناسبة للبيئة الإسلامية (الحكيم، 2005).

ثانيا : تعدد المدارس الفكرية والعلمية

تميز العصر العباسي بوجود تيارات فكرية متنوعة: المعتزلة، الفقهاء، الفلاسفة، الأطباء، الرياضيون، وغيرها. وكل تيار أنتج خطابًا معرفيًا خاصًا مستخدمًا مصطلحاته وأولوياته. في ظل هذا التعدد، نشأت الحاجة إلى أداة توحيدية تُقرب المفاهيم وتسهّل الفهم المتبادل بين أهل العلوم المختلفة. وهنا تبرز أهمية *مفاتيح العلوم* باعتباره دليلًا موحدًا لفهم مصطلحات ومفاهيم ذلك العصر. (الجابري، 2001)

ثالثا: رعاية الدولة للعلم والعلماء

حظي العلماء في العصر العباسي بمكانة كبيرة، وكانت الخزائن والوقف العلمي تُخصص لدعم البحث والتأليف. وقد أتاح هذا للخوارزمي وغيره من العلماء العمل في بيئة تسمح بالتأمل والتصنيف، بعيدًا عن ضغط الإنتاج أو الانغلاق المعرفي. يظهر من ذلك أن مشروع الخوارزمي ليس مجرد عبقرية فردية، بل يعكس روح عصر علمي متكامل، كانت المعرفة فيه جزءًا من مشروع حضاري شامل. (الطبري، 1988)

من خلال هذه العوامل، يظهر أن مفاتيح العلوم لم يكن مجرد تصنيف عفوي، بل استجابة واعية لواقع معرفي معقد، أراد المؤلف إعادة تنظيمه بأسلوب منهجي، تربوي، ومتوافق مع السياق الثقافي والحضاري للعصر العباسي.

4- تصنيف العلوم عند الخوارزمي في مفاتيح العلوم:

يُظهر تصنيف الخوارزمي في كتاب مفاتيح العلوم حرصًا دقيقًا على تنظيم المعارف بطريقة منهجية تعكس العلاقات بين مختلف العلوم، ويعكس فهمه لطبيعة المعرفة المتداولة في القرن الرابع الهجري (التاسع الميلادي تقريبًا). فقد اعتمد على تقسيم واضح يعكس الفرق بين العلوم النقلية التي تعتمد على النصوص والوحي، والعلوم العقلية التي

تعتمد على المنطق والتجربة، مع مراعاة العلاقة بينها داخل منظومة معرفية متكاملة. (الخوارزمي أ.، 2008)

.من أبرز ملامح تصنيفه:

1. علوم العرب: تضم العلوم المتعلقة باللغة العربية والعلوم الشرعية، مثل النحو، الصرف، البلاغة، الفقه، الحديث، والتفسير .اعتبر الخوارزمي هذه العلوم ضرورية لفهم الشريعة الإسلامية، وهي تشكل القاعدة الأساسية للمعرفة الدينية واللغوية في الحضارة الإسلامية . (زيدان ج.، 1911)

2. علوم العجم: وتشمل العلوم العقلية والطبيعية التي استقى منها المسلمون العلوم الفلسفية والطبية والفلكية والرياضية من التراث اليوناني والفارسي، مثل المنطق، الفلسفة، الطب، الحساب، الهندسة، والفلك . (الحكيم، 2005)

3. تداخل العلوم: أشار الخوارزمي إلى أن بعض العلوم تقع في نقطة التقاء بين هاتين المجموعتين، مما يعكس التناغم والتكامل بين العلوم المختلفة، مثل الفلسفة التي تجمع بين العقل والمنطق والتجربة.

يظهر في تصنيف الخوارزمي اهتمام خاص بتحديد الحدود بين العلوم المختلفة وبيان وظائفها ومجالاتها، وهو ما يؤكد حرصه على بناء منظومة معرفية متكاملة تساعد الباحثين على فهم طبيعة العلوم ومواضيعها.) (الخوارزمي أ.، 2008)

يُعد هذا التصنيف علامة فارقة في تاريخ الفكر الإسلامي، إذ لم يقتصر على تجميع العلوم، بل تجاوز ذلك إلى محاولة بناء نظام تصنيف معتمد على أسس فلسفية ومنهجية، مما يضع الخوارزمي في مرتبة المؤسسين الأوائل للفكر الموسوعي الإسلامي. (يوسف، 1985)

5- المفاهيم والمصطلحات في مفاتيح العلوم

حين نتأمل بناء كتاب مفاتيح العلوم، نلاحظ أن الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت387هـ/997م) لم يكتف بتقسيم العلوم إلى مجالاتها الكبرى، بل خصّص جهدًا واضحًا للتعريف بالمصطلحات الأساسية في كل مجال. جاء هذا الاهتمام انطلاقًا من إدراكه أن

فهم العلوم لا يتحقق إلا من خلال فهم مصطلحاتها، لا سيما في زمن شهد توسعًا في حركة الترجمة من الفارسية والسريانية واليونانية إلى العربية، وما نتج عنها من تداخل مفاهيمي وتفاوت في التراكيب. (الحكيم، 2005)

كان الخوارزمي عمليًا أكثر من كونه نظريًا؛ فهو لم يعمّد إلى وضع تعريفات فلسفية أو لغوية مجردة، بل حاول تقديم المصطلحات كما يتداولها أهل كل علم، بأسلوب موجز وواضح. فعند شرحه لمصطلحات مثل "الفقه" و"الحديث" و"الفرائض "ضمن علوم الشريعة، اكتفى بالإشارة إلى مجال استعمالها والغرض منها. أما في العلوم العقلية، مثل الحساب والهندسة والفلك، فقد قدّم المصطلح مع شرحه، وأحيانًا أضاف مرادفًا أو توضيحًا لغويًا لتقريب المعنى . (الخوارزمي أ.، 1981)

مثلًا، عند تعريف علم "الهيئة"، أشار إلى أنه يختص بحركات الكواكب وأوضاعها، في عبارة مباشرة تضع القارئ أمام الفكرة الأساسية دون غموض. كما استخدم في تعريفه لعلم "المنطق "تعبيرًا وظيفيًا يرتكز على دور هذا العلم في ضبط التفكير، لا على أصله الأرسطي أو طبيعته المجردة . (عياد ع.، 2002)

إن طبيعة التعاريف التي قدّمها الخوارزمي تشير إلى هدف تربوي في المقام الأول: تسهيل انتقال المتعلم من المفهوم العام إلى الدلالة الدقيقة، خاصة لمن لم يسبق له أن تلقى هذه العلوم من قبل. فهو لا يفترض معرفة مسبقة عند القارئ، بل يضع بين يديه مفتاحًا أوّليًا لفهم العلم ومفرداته، مما يجعل مفاتيح العلوم أقرب إلى دليل تعليمي أو مدخل مبسّط يعتمد على ضبط المصطلحات وربطها بسياقها العلمي.

ولا يمكن إنكار أن هذا الجهد الاصطلاحي المبكر ساهم في تمهيد الأرضية لما سيعرف لاحقًا بالمعاجم العلمية. فالكثير من المفاهيم التي استقرت في الفكر العربي الوسيط، سواء في الطب أو الحساب أو المنطق، ستبنى على هذا النوع من الشروح الأولية. ولذلك، فإن الخوارزمي، من خلال عمله، لم يصنّف العلوم فحسب، بل أسس أيضًا لمشروع معرفي يعترف بأهمية اللغة والمصطلح في بناء العلم ونقله .((هارون، 1985)

6-الأُسس الفكرية لمنهج الخوارزمي في التصنيف :

يرتكز منهج الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت387هـ/997م)، في تصنيف العلوم على أُسس فلسفية ومنهجية تعكس الخلفية الفكرية والثقافية للعصر العباسي، وتبرز فهمه العميق للعلاقات بين مختلف أنواع المعرفة (الخوارزمي أ.، 2008) .

ويمكن تلخيص هذه الأُسس في النقاط التالية:

1. التمييز بين العلوم النقلية والعقلية

يميز الخوارزمي بين العلوم النقلية التي تعتمد على النقل عن طريق النصوص المقدسة، مثل الفقه، الحديث، والتفسير، وبين العلوم العقلية التي تُبنى على التفكير المنطقي والتجربة، مثل الفلسفة، الطب، والرياضيات. يعكس هذا التمييز تأثره بالتصنيف اليوناني القديم الذي فصل بين العلوم النظرية والعملية، ويؤكد أهمية المنهج العقلي في بناء المعرفة . (زيدان ج.، 1911)

2. الشمولية والارتباط بين العلوم

يرى الخوارزمي أن المعرفة ليست مجزأة إلى حقول مستقلة تمامًا، بل توجد روابط وترابطات بين العلوم المختلفة، وهو ما يظهر في وضعه للعلوم ضمن منظومة متكاملة يمكن للباحث أن ينتقل من علم إلى آخر اعتمادًا على هذه العلاقات. (يوسف، 1985)

3. الاهتمام باللغة كأداة لفهم الدين والعلم

لعبت اللغة العربية دورًا محوريًا في فهم العلوم الشرعية، ولهذا خصص لها حيزًا مهمًا في تصنيفه. فاللغة ليست مجرد وسيلة اتصال، بل مفتاح لفهم النصوص الدينية التي تمثل جزءًا أساسيًا من المعرفة في المجتمع الإسلامي . (الحكيم ا.، 2005)

4. التركيز على الجانب العملي والتطبيقي للعلوم العقلية
في حين أن العلوم النقلية تتعامل مع نصوص ثابتة، يولي الخوارزمي أهمية للعلوم العقلية بما تحويه من تطبيقات عملية، مثل الطب والهندسة، التي تسهم في تحسين حياة الإنسان. وهذا يعكس توجهًا عمليًا ضمن منظومة معرفية شاملة. (الخوارزمي أ.، 2008))

5. تأثره بالتراث اليوناني والفارسي :

يظهر منهج الخوارزمي تأثرًا واضحًا بالفلسفة اليونانية وبالتراث العلمي الفارسي، حيث استوعب الأفكار والمنهجيات المعرفية وأعاد صياغتها بما يتناسب مع السياق الإسلامي، مما أتاح له بناء تصنيف معرفي متماسك ومتوازن. (مدكور، 1960)

7-الوظيفة التعليمية لمفاتيح العلوم :

يُعدّ كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت387هـ/997م) من الأعمال التي تجمع بين الطابع المعرفي والطابع التربوي التعليمي .فقد حرص المؤلف منذ البداية على توجيه عمله إلى جمهور المتعلمين وطلبة العلم، وليس إلى نخبة الفلاسفة أو المتخصصين وحدهم. يُستشف من بنية الكتاب ولغته أن هدف الخوارزمي لم يكن تأليف موسوعة شاملة، بل تقديم مدخل مبسط ومرتب يمكّن القارئ من فهم أساسيات العلوم المتداولة في عصره، من خلال ضبط مصطلحاتها وشرح فروعها الأساسية . (الخوارزمي أ.، 2008)

راعى الخوارزمي في أسلوبه مبدأ التدرج في العرض والوضوح في التعبير، كما لجأ إلى تقسيم العلوم تقسيمًا منطقيًا يُسهّل على الطالب استيعابها. فجعلها قسمين كبيرين: علوم شرعية وعلوم عقلية، ثم فصّل داخل كل قسم أبوابًا تتضمن المفاهيم والمصطلحات الأساسية لكل علم، دون إغراق في الشروح أو الميل إلى الجدل الفلسفي. هذا ما يجعل الكتاب قريبًا جدًا من صيغ "البرامج التعليمية" أو "المداخل التمهيدية "كما يُقال بلغة التربية الحديثة. (سعيد، 1996).

وتبدو الوظيفة التعليمية لهذا العمل ليست مجرد نتيجة عَرَضية، بل نابعة من وعي المؤلف برسالة المعرفة في المجتمع الإسلامي، حيث تُعدّ العلوم وسيلة لترقية الفرد معرفيًا وروحيًا. ومن ثم، فإن تصنيف الخوارزمي للمفاهيم لم يكن مجرد تنظيم نظري، بل كان موجّهًا لتيسير التعليم وإرشاد المتعلم في سُلّم المعرفة. (الطيب، 2001)

كما أن اختيار المصطلحات وحرصه على تبسيطها دون إخلال بالدقة يشير إلى خبرة المؤلف في التعامل مع المتعلمين ووعي بمحدودية خلفياتهم المعرفية في بعض العلوم

الوافدة. بذلك، يمثل مفاتيح العلوم في جانب منه تجربة تربوية تعليمية متقدمة، سبقت في منهجها ما أصبح لاحقًا يُعرف بـ"الدليل الدراسي" أو "المدخل إلى التخصص."

8- مقارنة تصنيف الخوارزمي مع التصنيفات الإسلامية الأخرى

تميز تصنيف الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت387هـ/997م)، في كتاب مفاتيح العلوم بمحاولة منهجية تهدف إلى تنظيم المعارف وتقريبها إلى الذهن ضمن منظومة منطقية تتماشى مع ثقافة عصره. وفي هذا الصدد، يلتقي جهده مع تصنيفات علماء آخرين سبقوه في الفكر الإسلامي.

على سبيل المثال، قام الفارابي (ت339هـ/950م) في كتابه إحصاء العلوم بتقسيم العلوم إلى: علوم لسانية، منطقية، رياضية، طبيعية، إلهية، وسياسية، وهو منظور فلسفي قائم على العلاقة بين العقل والمادة، النظر والعمل. (الفارابي، 1968)

أما ابن سينا (ت428هـ/1037م)، فقد وسّع هذا النموذج في كتابه الشفاء ليُدرج العلوم النظرية (الطبيعيات، الرياضيات، الإلهيات) والعملية (الأخلاق، تدبير المنزل، السياسة)، مع تشديد على البعد العقلي للمعرفة وإمكانية ترابط العلوم وتكاملها . (ابن سينا، 1983)

ما يميز الخوارزمي عن من سبقه هو تركيزه على الفصل الثقافي بين "علوم العرب" و"علوم العجم"، وهو تمييز لم يظهر بهذه الصورة الواضحة عند الفارابي أو ابن سينا. ويرجع ذلك إلى السياق الاجتماعي والثقافي الذي جمع بين التراثين العربي والفارسي، ما دفعه إلى إبراز هذا التمايز ضمن منظومة تصنيفية معرفية. (الخوارزمي أ.، 2008)

تصنيف الخوارزمي يتسم بطابع موسوعي؛ إذ لم يكتف بتجميع العلوم، بل رتّبها بحسب وظيفتها وعلاقتها باللغة والدين من جهة، والعقل والطبيعة من جهة أخرى، في محاولة لبناء نسق معرفي متكامل . (الخوارزمي أ.، 2008)

وفي مراحل لاحقة، جاء ابن خلدون (ت808هـ/1406م) في المقدمة بنظرة أكثر تطورًا، حيث صنف العلوم وفق وظائفها المجتمعية وتطورها التاريخي، بدلًا من حصرها في أطر ثقافية أو دينية فقط. فصنف علوم الشريعة، علوم اللغة، علوم العقل، والعلوم الحِرفية بناءً على مدى نفعها وتطورها في المجتمعات الإسلامية . (ابن خلدون، 1967)

غير أن ما يُحسب للخوارزمي هو كونه من أوائل من حاولوا التأسيس لتصنيف معرفي مكتوب ومنهجي باللغة العربية، في وقت لم تكن فيه هذه المسألة قد نضجت بعد، ما يمنحه مكانة بارزة في تاريخ الفكر الموسوعي الإسلامي. (زيدان ج.، 1911)

9- القيمة العلمية والمنهجية لتصنيف الخوارزمي :

يُعدّ تصنيف الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت387هـ/997م)، في كتابه مفاتيح العلوم حجر أساس في مسيرة التصنيف العلمي في الثقافة الإسلامية، لما يحمله من طابع منهجي ودقة تنظيمية، إذ يمثل من أوائل المحاولات الموسوعية الجادة لتقنين المعرفة وتقسيمها بحسب منطق داخلي متماسك.

أولًا : تبرز قيمة تصنيفه في سعيه إلى تأسيس منهج وصفي تحليلي لكل علم، حيث لم يكتفِ الخوارزمي بمجرد تسمية العلوم، بل عمد إلى شرح مفاهيمها ومصطلحاتها ووظائفها وأدواتها .فعلى سبيل المثال، عند تناوله علم الطب يقول:

"وأما الطب، فإنه صناعة يُعرف بها ما يحفظ صحة الإنسان في مزاجه، وما يرد المرض إلى الصحة"

مما يضع تعريفًا وظيفيًا شاملًا للعلم يلامس جوهره العملي . (الخوارزمي أ.، 2008)

ثانيًا : تجلت القيمة المنهجية في اعتماده على التنظيم الثنائي الذي يقسم العلوم إلى علوم عربية (شرعية ولغوية) وعلوم عجمية (طبيعية ورياضية ومنطقية)، وهو تقسيم يعكس وعيًا بالازدواجية الثقافية في العالم الإسلامي في عصره، ومحاولة جعل اللغة العربية أداة لاحتضان جميع المعارف مهما كان أصلها . (الخوارزمي أ.، 2008)

ثالثًا :يتمثل البعد المنهجي في اعتماد الخوارزمي على المعاجم الاصطلاحية، حيث اعتنى بتعريف المصطلحات الدقيقة لكل علم، خاصة في الفقه والنحو والمنطق، وهو ما يجعل عمله قريبًا من الموسوعات الحديثة التي تهدف إلى تسهيل الوصول إلى المفاهيم والمبادئ الأساسية بشكل مختصر ومنظم. (الخوارزمي أ.، 2008)

رابعًا :يُعدّ مفاتيح العلوم أول محاولة واضحة في التراث الإسلامي لتجميع العلوم في نسق موسوعي مكتوب باللغة العربية، بخلاف المحاولات السابقة التي كانت شفوية أو ضمنية في كتب متفرقة. وقد سبقه بعض المفكرين في تجميع علوم مختلفة مثل الكندي (ت252هـ/870م) في رسائله الفلسفية، لكن دون هذا المستوى من الترتيب والتفصيل. (الكندي أ.، 1950)

خامسًا :يمكن اعتبار تصنيف الخوارزمي حجر الزاوية لعدد من التصنيفات اللاحقة، مثل:

- تصنيف إخوان الصفا في رسائلهم الموسوعية.
- تصنيف طاش كبرى زادة في مفتاح السعادة ومصباح السيادة. مما يدل على امتداد الأثر الفكري لمنهجه لعدة قرون لاحقة. (زادة، 2010)

10- الأثر اللاحق لتصنيف الخوارزمي في الفكر العربي والإسلامي:

ترك تصنيف الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم بصمة واضحة في الفكر العربي والإسلامي، لا سيما فيما يتعلق بطريقة تناول العلوم وتصنيفها لاحقًا. فقد استُخدم عمله مرجعًا تنظيميًا ومعجميًا لكثير من المؤلفين والعلماء.

10-1- أثره في التصنيفات الموسوعية الإسلامية:

يُلاحظ أن بنية الخوارزمي التصنيفية أثرت مباشرة في أعمال إخوان الصفا، الذين تبنوا في رسائلهم تصنيفًا مشابهًا قائمًا على تقسيم المعرفة إلى علوم شرعية وعلوم عقلية، مع إضافة أبعاد صوفية وفلسفية إلى هذا الإطار. ومن المحتمل أن يكون كتاب مفاتيح العلوم قد شكّل لهم مرجعًا، لا سيما في تحديد المفاهيم ووظائف العلوم (الصفا، 1957).

كما يظهر تأثيره في أعمال طاش كبرى زادة، الذي قام بإعادة ترتيب العلوم بشكل موسع، مع الاقتباس من بعض التعاريف الواردة عند الخوارزمي، خصوصًا في العلوم العقلية كالمنطق والرياضيات. (زادة، 2010)

10-2- أثره في المعاجم الاصطلاحية:

أسّس الخوارزمي بأسلوبه الموسوعي لمعجم علمي عربي مبكر، وهو ما انعكس لاحقًا في كتب التعريفات، مثل كتاب التعريفات للجرجاني، الذي اهتم بتقديم شرح دقيق للمصطلحات العلمية والفلسفية بأسلوب قريب من منهج مفاتيح العلوم .هذا يشير إلى استمرارية وتقليد علمي تطور بناءً على منطلقات الخوارزمي . (الجرجاني أ.، 2000)

3-10- أثره في الفكر الأوروبي:

رغم أن أثر الخوارزمي المباشر على تصنيف المعرفة الأوروبية لم يكن بنفس قوة أثره في العالم الإسلامي، فقد تُرجم كتاب مفاتيح العلوم جزئيًا إلى اللاتينية في القرن الحادي عشر ضمن جهود مترجمي مدرسة طليطلة، الذين نقلوا التراث العلمي الإسلامي إلى أوروبا. وقد استُفيد من هذا التصنيف في بناء المعاجم اللاتينية العلمية المبكرة. (Vaux، 1992)

11- مقارنة تحليلية بين تصنيف الخوارزمي وبعض النماذج الإسلامية :

رغم اشتراك العديد من المفكرين المسلمين في هدف تصنيف العلوم وتنظيمها، إلا أن لكل منهم منهجه الخاص وأسلوبه المميز، تُظهر دراسة تصنيفات العلوم عند علماء المسلمين أن الخوارزمي قد تميز بمنهجه التعليمي المعجمي المبسط، فيما اختلفت الأهداف والبُنى المنهجية عند مفكرين آخرين مثل الفارابي، إخوان الصفا، وطاش كبرى زاده.

فبالنسبة للخوارزمي، فإن تصنيفه جاء في كتابه مفاتيح العلوم بغرض تعليمي وعملي، يهدف إلى تعريف المتعلم بالمفاهيم الأساسية في كل علم، مع التركيز على المصطلحات وتبسيطها. وقد اعتمد على تقسيم ثنائي يُميز بين "العلوم العربية" كالنحو والصرف، الفقه والحديث، و"العلوم العجمية" كالطب والفلك والمنطق . (الخوارزمي أ.، 2008)

أما الفارابي، فقد اتخذ في كتابه إحصاء العلوم منحى فلسفيًا تحليليا بحتًا، استند فيه إلى منطق أرسطو لتقسيم العلوم وفق الغاية والموضوع، فاعتبر المنطق آلة للعلم، وجعل الرياضيات، والفيزياء، والميتافيزيقا علومًا عقلية تتراتب بحسب تجريدها وموضوعها، مؤكدا على البعد الفلسفي في التنظيم المعرفي . (الفارابي أ.، 1968)

في المقابل، نجد أن إخوان الصفا في رسائلهم الأربعة والخمسين قد مزجوا التصنيف العلمي بالبعد الروحي، إذ دمجوا بين العلوم الطبيعية كالرياضيات والفلك، والعلوم الدينية كالفقه والتفسير، مع ميل إلى ترتيب العلوم بشكل هرمي يصعد بالإنسان من المعرفة الحسية إلى المعرفة الإلهية. وقد كانت لغتهم رمزية تميل إلى الصوفية والتأويل الفلسفي. (الصفا، 1957)

أما طاش كبرى زاده، فقد أعاد في كتابه مفتاح السعادة ومصباح السيادة ترتيب العلوم بأسلوب موسوعي، يتسم بالشمول والشرح المستفيض، حيث صنف العلوم بحسب وسائلها وغاياتها، مثلًا: جعل النحو وسيلة لفهم الشرع، والطب وسيلة لحفظ الصحة. كما اعتمد في بعض المواضع على تعريفات الخوارزمي خصوصا في العلوم العقلية كالمنطق والرياضيات ، مما يدل على إمتداد أثره الفكري. (طاش كبرى زاده، (زادة، 2010)

وبهذا يتضح أن الخوارزمي قد أسّس لنموذج تصنيفي وظيفي لغوي يختلف عن النموذج التحليلي الفلسفي عند الفارابي، والصوفي الرمزي عند إخوان الصفا، والموسوعي التربوي عند طاش كبرى زاده. وتميّز عنهم جميعًا بتركيزه على تبسيط المصطلح العلمي ووضعه في متناول المتعلم، ما جعله سبّاقًا في إنشاء معجمية علمية مبكرة باللغة العربية.

12- لمحات حديثة لتأثير تصنيف الخوارزمي:

رغم مرور أكثر من ألف عام على تأليف مفاتيح العلوم، فإن صدى الخوارزمي في ميدان تصنيف المعرفة ما زال يُلهم الباحثين حتى اليوم، لا سيما في مجالات علوم المعلومات، والمكتبات، والمعاجم الاصطلاحية، وتصنيف المحتوى الرقمي.

في عصرنا الحديث، يُنظر إلى عمل الخوارزمي بوصفه أحد الأسس الأولى للتكشيف العلمي المبكر، فقد شكّل نموذجه اللغوي المعرفي مرجعية للمعاجم العلمية العربية المتخصصة، إذ تبنّت بعض المؤسسات العلمية نمطًا قريبًا من تقسيمه الثنائي في تصنيفها للموارد: علوم اللغة والشرع من جهة، والعلوم التطبيقية والعقلية من جهة أخرى. على سبيل المثال، تعتمد بعض نظم الفهرسة في المكتبات الجامعية العربية نماذج تصنيفية قريبة من مفاتيح العلوم، في التركيز على المصطلح المعرفي كبنية أساسية لتصنيف الموضوعات.

كذلك، ساهمت أعمال الخوارزمي في إلهام الجهود الحديثة في مجال البيبليوغرافيا الإسلامية، مثل مشاريع الفهارس الشاملة للمخطوطات العربية التي تتبع منهجًا موضوعيًا لتصنيف العناوين، حيث نجد تقسيمًا شبيهًا في كتب مثل كشف الظنون لحاجي خليفة، والذي استفاد كثيرًا من تراكم المعرفة التصنيفية الإسلامية (خليفة، ب.ت.) .

أما على مستوى المعاجم الاصطلاحية الإلكترونية الحديثة، فقد أصبحت مبادئ الخوارزمي في التمييز بين المصطلح وتعريفه ووظيفته في سياقه العلمي من المرتكزات الأسلوبية التي تُعتمد في بناء قواعد بيانات معرفية متعددة اللغات، لا سيما في المشروعات الرقمية العربية المدعومة من المجامع اللغوية.

كل هذا يؤكد أن تصنيف الخوارزمي لا يُمثّل مجرد إرث علمي ماض، بل يُعد نموذجًا معرفيًا قابلًا لإعادة التوظيف في بيئات المعرفة الحديثة، خاصة في ظل السعي لتأصيل المفاهيم العربية ضمن البنى الرقمية والمعجمية المعاصرة

خاتمة

يُعد كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي محطة بارزة في تاريخ تصنيف المعرفة الإسلامية، حيث قدّم محاولة رائدة لتنظيم العلوم بلغة واضحة تخدم الطالب والباحث معًا. وقد تميز هذا العمل بطابعه العملي والمعجمي، فجمع بين التبسيط والتوثيق، وبين الوصف اللغوي والتصنيف المنهجي.

لقد أبرز الخوارزمي من خلال هذا التصنيف توازنًا فكريًا ملفتًا بين العلوم الدينية والعقلية، وعكس رؤية حضارية كانت ترى في المعرفة وحدة متكاملة لا انفصال فيها بين النقل والتجريب. كما أن المقارنة بينه وبين غيره من المصنفين، من فلاسفة ومتصوفة، كشفت عن خصوصية مشروعه، الذي بدا أقرب إلى قاموس علمي تطبيقي منه إلى خطاب رمزي أو تأملي.

وفي ظل التحولات التي يشهدها عصرنا الرقمي، حيث تتزايد الحاجة إلى فهرسة المعرفة وتوصيفها بدقة، تبدو العودة إلى هذه النماذج التراثية ضرورة لا مجرد رغبة. ومن هذا

المنطلق، فإن إعادة قراءة مشروع الخوارزمي اليوم هي فرصة لإعادة بناء الجسور بين تراثنا العلمي وحاجاتنا المعرفية الراهنة.

وبناءً على ما تم استعراضه وتحليله من تصنيف الخوارزمي للعلوم في كتابه مفاتيح العلوم، يمكن تقديم جملة من التوصيات التي قد تفتح آفاقًا جديدة للبحث وإعادة توظيف هذا التراث في السياق المعرفي المعاصر:

1. دعوة الباحثين لإعادة دراسة مفاتيح العلوم ضمن مقاربات حديثة، تربط بين المصطلح العلمي العربي وبين النظريات المعجمية الحديثة، خاصة في مجالات اللسانيات المعرفية والذكاء الاصطناعي.

2. إدماج منهج الخوارزمي في مقررات علوم المكتبات، وتدريسه كنموذج عربي مبكر في تصنيف العلوم، يساعد الطلبة على فهم أصول التصنيف الموضوعي واللغوي في الثقافة الإسلامية.

3. إطلاق مشاريع معجمية رقمية تعتمد على منهج الخوارزمي في ترتيب المفاهيم والمصطلحات بحسب التخصص العلمي، وبما يحقق توازناً بين الأصالة والحداثة في صناعة المحتوى المعرفي العربي.

4. تحقيق نقدي علمي جديد لمفاتيح العلوم مع شروح مبسطة ومداخل مقارنة مع تصنيفات أخرى، خاصة لإتاحته بشكل أوسع للدارسين باللغة العربية وبلغة أجنبية ثانية (كالفرنسية أو الإنجليزية).

5. تشجيع الدراسات المقارنة بين الخوارزمي ونظرائه من الثقافات الأخرى (مثل التصنيفات اليونانية، الصينية، أو الهندية) بما يُعمّق فهم السياقات الحضارية المختلفة لتصنيف العلوم.

قائمة المراجع:

ابن خلدون, ع. ا .(1967) .المقدمة .بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن سينا, أ. ع .(1983) .الشفاء: العلوم الطبيعية والعملية .بيروت: دار الفكر.

الجابري, م. ع .(2001) .تكوين العقل العربي .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الجرجاني, أ. ا .(2000) .كتاب التعريفات .بيروت: دار الكتب العلمية.

الحكيم, أ .(2005) .النهضة العلمية في العصر العباسي .بغداد: دار العلم..

الخوارزمي, م. ا .(2008) .مفاتيح العلوم .بيروت: دار الكتب العلمية.

الصفا, إ .(1957) .رسائل إخوان الصفا .بيروت: دار صادر.

الطبري, م. ب .(1988) .تاريخ الأمم والملوك .بيروت: دار المعرفة.

الطيب, ب .(2001) .المنهج المعرفي في التراث الإسلامي .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الفارابي .(1968) .إحصاء العلوم .بيروت: دار المعرفة.

الكندي, أ. ي .(1950) .رسائل الكندي الفلسفية .القاهرة: دار الفكر العربي.

بوشيخي, ا .(2001) .المنهج المعرفي في التراث الإسلامي .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

خليفة, ح.(ب.ت.) .كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .بيروت: دار إحياء التراث العربي.

زاده, ط. ك .(2010) .مفتاح السعادة ومصباح السيادة .بيروت: دار الكتب العلمية.

زيدان, ج .(1911) .تاريخ آداب اللغة العربية .القاهرة: دار الهلال.

سعيد, ع. ا .(1996) .مدخل إلى التربية الإسلامية وتاريخ التعليم في العصر العباسي . القاهرة: دار المعارف.

عياد, ع. ا .(2002) .مدخل إلى تاريخ العلوم الإسلامية .القاهرة: دار النهضة العربية.

مدكور, ا .(1960) .في الفلسفة الإسلامية: منهج وتطبيقه .القاهرة: دارالنهضة المصرية.

هارون, ع. ا .(1985) .المعاجم العربية .القاهرة: مكتبة الخانجي.

يوسف, ن .(1985) .تاريخ العلوم الإسلامية .بيروت: دار العلم للملايين.

Vaux, B. D. (1992). Science and Knowledge in Medieval Europe. Paris: Editions du CNRS.